حاكمية النص السوسيولوجي بين المؤلف والذوق الترجمي
قراءة ابستيمولوجية لجدلية سلطة النص: الأصلي والمترجم

محمد بدر الدين/ باحث بجامعة تلمسان

ملخص البحث:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى تقديم قراءة إبيستيمولوجية للعلاقة الجدلية القائمة بين سلطة نص الترجمة العلمية المتخصصة للمترجم اللغوي، وبين سلطة النص الأصلي للمؤلِف في العلم المترجم له (السوسيولوجية الألمانية كأنموذج)، في محاولة لرصد طبيعة تلك العلاقة بين المترجم المتخصص في الترجمة اللغوية، وبين سلطة النص القائمة في العلم ذاتهّ؛ كأنموذج لترجمات كتب علم الاجتماع والنصوص السوسيولوجية لماكس فيبر ، وهل للنص السوسيولوجي –الأصلي– سلطة حاكمة على المترجم اللغوي أم الذوق الترجمي هو الحاكم بقوة الفعل الترجمي؟ أم هو التجاوز المنهجي الجدلي لحاكمية النّص السوسيولوجي المترجم؟ والمؤسّسة علميا من النّص التخصصي ذاته عبر التكامل المعرفي التخصصي للمترجم –نفسه– بالتخصص في العلم المترجم له.

الكلمات المفتاحية: سلطة النص (= حاكمية النص)، السوسيولوجيا، المترجم المتخصص، التكامل المعرفي التخصصي، التذوق الترجمي.

مقدمة:

تعتبر اللغة العربية هي اللغة الأولى التي تكلم بها آدم؛ وبهذه الصفة تحضى بالأولوية الزمنية والسيادة الأنطولوجية (عبد الفتاح، ك. 2001: 25) ، ومع ذلك فإن صمود اللغة العربية وسيادتها الوجودية وأوليتها الزمنية لم تكن إلاّ في ظل شهود عمل حضاري قامت به حركة الترجمة في عصور الازدهار العربي، وتكوين المعرفة العلمية كإحدى لبنات الإبداع العلمي والثقافي.

وبعد انتشار الترجمات العربية كنقلة نوعية من الترجمة إلى الكشف والإبداع للموروث الفلسفي والمعرفي الإغريقي واليوناني –على وجه الخصوص–، لعبت الترجمة دورا مهما في البناء العلمي الحضاري، فكانت "الترجمة الوسيلة الفعالة لاقتباس العلوم: عربوا علوم زمانهم كيما يتعلموا بلغتهم فتخالط اللغة تفكيرهم، إذ لا تفكير بلا لغة ولا تفكير قويم إلا باللغة الأم التي تعلمها الإنسان في طفولته ويألف حروفها ويأنس بألفاظها، فتمتزج بحسه وشعوره وتندمج بنطقه وتفكيره" (شحادة، خ. 1989: 83). ضمن هذا الوضع وبعد أفول الحضارة العربية والإسلامية ورقي الحضارة الغربية والأوروبية وما أنتجته من علوم إنسانية واجتماعيه؛ أضحت الحاجة ماسة لترجمة تلك العلوم، علّها تسهم في تكوين عقل عربي لمسلم جديد يبادر إلى بناء مجتمع الرقيّ الحضاريّ فكانت حركة الترجمة للعلوم الاجتماعية وبالخصوص (علم الاجتماع= السوسيولوجية)، كونها حركة فكرية اجتماعية تتبنى نظريات وأطروحات واتجاهات مختلفة، على مستوى انتقاء الكتب المترجمة، أو اللغة، أو ثقافة المؤلف، أو النظرية الترجمية...الخ. كما في العراق ومصر والمغرب العربي..

ليس معنى ما تقدم أن حركة الترجمة قد انحصرت في تلك البلدان؛ ولكن الذي يظهر أن هذه الحركة الاجتماعية للترجمة السوسيولوجية في الوطن العربي شكّلت تحديًّا صارخًا لموضوع فكريّ مركب من ثلاثية (المعرفة–الترجمة–السلطة)؛ ولَأِنْ اعتبر فوكو بأن الحلم ليس فقط موضوعا، بل وسيلة للمعرفة، يمكن القول: أن الترجمة ليست فقط

موضوعا، أو وسيلة لنقل المعرفة، بل هي المجال الذي يمكن أن تتولد فيه كل معرفة تحقق سلطة حاكمة بنصوصها الأصلية أو المترجمة.

بناء على ما سبق: إننا بإيـزاء هذه الثلاثية المركبة كأنما نقف أمام لوحة لبيكاسو في بعض مراحل مشواره الفني نتأملها وقد نفهم أو لا نفهم أسرار الشكل والألوان، ولكن محاولة المعرفة على الحقيقة ليست بالمهمة السهلة على الإطلاق، ولا هي بالمستحيلة كذلك (**دنكان ، ب. 2013: 10**).

وعليه فالمساءلة لموضوع الورقة تتمحور حول: **ماهيّة الحاكميّة لسلطة النّص السّوسيولوجي الأصليّ أو المترجم؟ وتوجيه البحث إلى تحليلها ووصف مفاعيلها ونتائجها ؟**

أهمية الدراسة:

الورقة لا تزعم إقامة نظرية أو طرح مثالي لما يجب أن تكون عليه الممارسة السلطوية للنص –الأصلي أو المترجم–؛ وإنما هي مطارحة فلسفية إيبستيمية تبيّن خصائص حاكميّة النّص السوسيولوجي وسلطته، وفق مقاربة جدليّة للمنطق الهيجلي الديالكتيكي في أقسام الفكر الثلاثة: (الكينونة و الماهية والأفهوم)؛ حيث تكُون فكرة سلطة النص انعكاس للديالكتيك الواقعيّ، لتكشف أحوال ومحتويات النّص الأصلي والنّص المترجَم، بتجميع ماهية سلطته وتفعيلها وتنشيطها ، وفق ما قرره هيجل في الطابع الغالب على الوجود، وأنه يسير على إيقاع ثلاثي من الإيجاب والسّلب إلى التأليف بناء على منطق أن " الفكرة لا بد أن تُدْرَسَ في طبيعتها الجوهريّة وتطورها الكامل، إنها في آن معاً موضوع البحث وفعل البحث، ومن ثم فهي تفحص نفسها وبنشاطها ينبغي عليها أن تعيّن حدودها، وأن تشير إلى نقائصها، وذلك هو نشاط الفكر الذي أسميه من الآن فصاعدا باسم المنهج الديالكتيكي" (**هيجل: 41**)

من هنا تتأتى أهميّة البحث في القراءة الفلسفية الجدليّة عبر "قراءة النّص بعقل مركب ومفتوح على تعدد المعنى، قراءة خصبة وفعّالة، من أجل تجديد وتوسيع عالم المعرفة" (**علي، ح. 2005: 193**) هذا ما يجعل طرح التساؤلات الجدلية محور مركزي ومهم حول ما نحن عليه في واقع الترجمات والنصوص السوسيولوجية الأصلية وحاكميتها، بمساءلة النحن عبر الذات ؟ واستشعار الخطر الذي يكمن في كل مألوف وأن نجعل كل ما هو راسخ موضع إشكال.

أهداف الدراسة:

- التعرف على مفاهيم الترجمة العلميّة المتخصصة، وسلطة النّص، والتكامل المعرفي التخصصي للمترجم.
- تفعيل وتنشيط الموضوع "حاكمية النص السسوسيولوجية" عبر مركباته الثلاث (النّص–المعرفة–السّلطة).
- التأكيد على دور التكامل المعرفي التخصصيّ للمترجم في تحقيق التجاوز المنهجيّ الجدليّ لسلطة النّص الأصلي و الذّوق الترجمي.

عملية المنهج الديالكتيكي:

قبل الغوص في القراءة الإبستيمولوجية لموضوع الورقة البحثية أودّ الإشارة إلى أن المنهج الإبستيمي المعتمد في القراءة هو المنهج الجدلي الهيجلي (الديالكتيك)؛ الذي يعتمد المنطق العقلي الجدلي كون العقل يثبت حقيقة معينة في شكل قضية منافية للأولى (سلطة النص المترجم) كقضية موجبة للقضية السّالبة (سلطة النص الأصلي)، ثمّ عمليّة النَّفي والتّركيب اللّذان يأخذان وحدة واحدة (سلطة نص المترجم المتخصص المتكامل المعرفي)، أي: كل عمليّة منهما تكمّل

الأخرى؛ حيث تعتمد التعارض والتقابل في ثوب تأليف جديد، يُشكّل وحدة الذاتي بالموضوعي والفكر بالواقع، فالمفاهيم التي قام عليها الديالكتيك هي التناقض والتأليف ومفهوم الكل (**مونيس ، ب. 2009: 232**).

1- شبكة المصطلحات والمفاهيم:

- **المترجم المتخصص:**

هو مؤلِف وكاتب بمعنى معين، يقوم بعملية الصياغة لأفكار مخصصة للقارئ وليست خاصة به، وإنما هي أفكار مؤلِف النّص الأصلي (**محمد، ك. 2013: 49**)، فالمترجم المتخصص يقدّم نصًا جديدا يعطي انطباعا بأنه مكتوب أصلا باللغة التي ترجمته إليها، عبر عملية النّقل والتّدوين الحي للأفكار والمعرفة العلمية من اللغة التي لها عاداتها وتقاليدها وثقافتها وحضارتها، إلى إحدى اللغات الأخرى (اللغة العربية كنموذج للموضوع) التي ربما تختلف عن السّابقة في كل شيء (**محمد، ك. 2013: 50**).

- **السوسيولوجيا:**

عرّف العديد من المفكرين والعلماء السوسيولوجيا بأنها "العلم الذي يدرس المجتمع دراسة علمية"، ومنهم من عرفها بأنها "علم الظواهر الاجتماعية"، وذهب بعضهم إلى أن علم الاجتماع هو "العلم الذي يقوم بالبحث عن الحقيقة والمعرفة المرتبطة بأنماط التفاعل الاجتماعي" أو "علم دراسة الأنساق الاجتماعية" (**عامر، م. 2010: 23–26**)؛ ومع اختلاف تلك التعاريف فالذي يهمنا وله علاقة بموضوع الورقة البحثية كون السوسيولوجيا هي علم يتميز بالصعوبة الخاصة التي تحول بينه وبين أن يصير علما مثل العلوم الأخرى، ومرد ذلك أن رفض المعرفة وتوهم معرفة نظرية يتواجدان فيه جنبا إلى جنب، بدل أن يتعارضان، سواء عند الباحثين أو عند المطبقين (**بورديو، ب. 2007: 20**) وعليه فإن موضوع علم الاجتماع ومجالاته المتشعبة (كدراسة السّلوك الإنساني، التفاعل الاجتماعي، النظم الاجتماعية، البناء الاجتماعي، الظواهر الاجتماعية) تتخذ مكان الصّدارة في اهتمامات علم الاجتماع وهو مجال الدراسات التي تتولى دورا حيويا في الثقافة الفكرية الحديثة (**أنتوني، غ. 2005: 4**).

- **سلطة النص (= حاكمية النص):**

نجد في المعجم الفلسفي لجميل صليب أن "السّلطة في اللغة، القدرة والقوة على الشيء"(**جميل، ص. 1978: 670**) أما المعجم الفلسفي السوفياتي فيعرفها على أنها "إحدى الوظائف الأساسية للتنظيم الاجتماعي للمجتمع، إنها القوة الآمرة التي في حوزتها الإمكانية الفعلية لتسيير أنشطة الناس بتنسيق المصالح المتعارضة للأفراد أو الجماعات وبإلحاق تلك المصالح بإدارة واحدة عن طريق الاقناع أو القسر" (Dictionnaire p. 1985 : 409) وليس ببعيد عن هذا التعريف ما يذهب إليه بيتي من أن "السّلطة هي القدرة على التأثير في الأشخاص ومجريات الأحداث باللجوء إلى مجموعة من الوسائل تتراوح بين الإقناع والإكراه" (**جورج، ب. 1986: 37**) وإذا اعتبرنا النّص –سواء الأصلي أو المترجم– : بناء لغوي، وكيان ماديّ من العلامات؛ والمنطوقات، والعبارات، مترابط له وظيفة، ويتميز بديناميكية، وخطاب يشكل "سلسلة منتظمة متميزة من الحوادث" (**فوكو، ف. 1985: 35**)، وأنّ النّص نفسه " ليس مرآة صاحبه، وإنما هو يَستقِل عنه لكي يكتسب كينونته كواقعة خطابية لها سلطتها ومفاعيلها" (**علي، ح. 2005: 191**)؛ فيمكننا حينئذ الخروج بتعريف إجرائي لسلطة النّص وحاكميته كونها " القدرة والقوة التي في حوزتها الإمكانية الفعلية على التأثير في الأشخاص ومجريات الأحداث باللجوء إلى مجموعة من الوسائل والاستراتيجيات التي

تتراوح بين الإقناع والإكراه عبر سلسلة منتظمة ومتميزة من الحوادثّ، تكتسب كينونتها كواقعة خطابية لها سلطتها ومفاعيلها في الحقل العلمي للنّص المكتوب (أصلي أو مترجم)".

- **التكامل المعرفي التخصصي:**

ويقصد به تحقيق "الاتساق" بين النظرة اللغوية المتخصصة وبين النظرة العلمية للنص المترجم له؛ بتحقيق تكامل على المستوى الإجرائي بتكامل مناهج الترجمة المتخصصة، وعلى المستوى المعرفي للمترجم نفسه في التخصص العلمي للنص المترجم (**سمير، أ. 2009: 217**). أي: تحقيق الإزدواجية بين تخصص الترجمة اللغوية وبين التخصص العلمي فيما يترجم له كعلم الاجتماع (= السوسيولوجيا) مثلا.

- **الذوق الترجمي:**

يقصد به في هذه الورقة البحثية " آلية واستراتيجية تدخل المترجم المتخصص في النص الأصلي وفق منهج لذة الترجمة التي تعطي السلطة للنّص المترجَم (بفتح الجيم) وفق لذّة المترجِم (بكسر الجيم) على أساس "تفكيك الأصل" و "فعل الإبداع" كما في تصدير ميشيل فوكو لكتابه (اللغة والذاكرة المضادة والممارسة) وتثبيته لفكرة نفي الأصل المقدس للنص (الآدمي) ، وأن أي ترجمة للأصل إلى لغة ثانية؛ تنطوي على انتهاك الأصل (**إدوين ، غ. 2007: 354،355**).

2- القضية الأولى: (حاكمية النّص السّوسيولوجي الأصليّ):

1.2- سلطة النّص الأصليّ:

يعتبر النّص الأصلي للكتب السوسيولوجية نصاً معرفياً بدرجة أولى، ولهذا تنصرف أذهاننا عند الحديث عن علاقة النّص الأصلي بالمعرفة كونها منتوجة له إلى المعرفة كقوة وسلطة وتمكّن، بحوزتها الإمكانية الفعلية على التأثير في الأشخاص القاري أو المترجم، كما أن من شأنها التأثير على مجريات الأحداث باللجوء إلى مجموعة من الوسائل والاستراتيجيات التي تتراوح بين الإقناع والإكراه عبر قداسة النّص الأصلي للمؤلف، واكتساب كينونة القداسة كواقعة خطابية لها سلطتها ومفاعيلها في الحقل العلمي السوسيولوجي؛ لهذا فإنّ دياليكتيك المعرفة السوسيولوجية وسلطة النص السوسيولوجي الأصلي " رغم محدوديتها، تقدمنا خطوة أخرى في اتجاه فهم السلطة كعلاقة، لا كمجرد قوة مسلّطة – من خارج الجماعة–على الجماعة" (**عيادي، ع. 1994: 44**).

وبما أن المؤلف يستمد حاكمية السلطة لنصه الأصلي من القوة القارئة للكتاب وهي خارجة في الجماعة، فإن سلطة النّص الأصلي في علم الاجتماع كنسيج معرفي "لا تتجلى قوته عند تطبيق المعرفة **وإنما في ثناياها**" (**عيادي، ع. 1994: 100**) ولهذا فإن خضوع المترجم أو القاري لحاكمية النص الأصلي بدافع الدوغمائية –في طبيعة العلاقة الجدلية بين السلطة التقليدية (سلطة المؤلف) و (سلطة السلف) المالكة للنص بحكم: **الراسب التاريخي**. وهذا ما دفع ببعض العلماء والفلاسفة والمفكرين إلى مساءلة قداسة النص الأصلي ومؤلفه واعتبروا "النص يتخطى قائله ويعمل من ورائه بقدر ما يُنشئه القائل أو يُنسبه إليه" (**علي، ح. 2005: 192**)؛ وهذا ما يرفضه النموذج التقليدي الذي يدعي إمتلاك السلطة المطلقة وإحتكار المعنى والمشروعية، ومن ثمّة ترسيخ دوغمائية النص الأصلي وفق حاكمية السّلف – المالكة– التقليدية، وهنا نتساءل: أيكون من الممكن للمعرفة السوسيولوجية المحكُومة بقوّة النّص الأصلي أن تتخطاها عبر الترجمات؟

- **موت المؤلف:**

إن سلطة النص الأصلي ليست منهجا يكتب النص من خلاله، ولا هي جملة من القواعد والأفكار المحددة، ولا هي الكتابة في موضوع معين، بقدر ما هي لذة كما يقول رولان بارت: "إنها القيمة المتنقلة إلى قيمة الدّال الفاخر" (**بارت، ر. 1992: 15**)، وهي التي تعطي قضية الحاكمية للنص السوسيولوجي الأصلي سلبا وفق إيجاب القضية في سلطة الكاتب وحاكمية نصه المؤلَف؛ وهذا الجدل بات محتدم على اعتبار أن المعرفة في النص السوسيولوجية تتميز بالصعوبة الخاصة كما سبق توضيحه في المفاهيم، وأنها نسيج معرفي مركب من مجموعة من التعريفات، والتعبيرات المستعملة في مناقشة المفهومات؛ وهذا ما يشكل تحدياً صارخاً لحاكمية المؤلف ونصه، وفق التقويضية في نظريات الترجمة المعاصرة كممارسة للإنتاجية الإيجابية للنص وسلطته الجديدة (**إدوين ، غ. 2007: 346**). وحيث أن استمرارية الأصل كنص لصاحبه لم يعد له وجود لعدم وجود صفة مخصوصة يشتمل عليها، فإنّ الخواص التي تشتمل عليها ترجمته، وهذا الجدل المولد من انعكاس المساءلة الفرضية حول تحدي القيود اللغوية والكتابة بإثارة الأسئلة حول طبيعة اللغة للمؤلف و"الوجود في اللغة" (**إدوين ، غ. 2007: 347**) يجعل الباحث أو المترجم يقف وقفة مساءلة للتخلص من ((**قميص التكتيف المعرفي**)) الذي يحتفظ به النص الاصلي ليشد به وثاق الترجمة (**إدوين ، غ. 2007: 345**) فنتساءل بفرضية جدلية عكسية: " ماذا إذا كان تحديد معنى نص سوسيولوجي ما غير محكوم بالأصل، بل محكوم بالترجمة ، هل سيبقى للنص السوسيولوجي الأصلي سلطة حاكمة ؟

3- القضية الثانية: (حاكمية الذّوق الترجمي وإشكالية سلطة النّص المترجم):

1.3- نسق الترجمة وحاكمية الذوق الترجمي:

تعتبر الترجمة في العلوم الاجتماعية –وعلم الاجتماع خصوصا– وجود فعلي في ممكنات الاعتراف بتنوع اللغات، والتخصصات العلمية، والثقافات، والحاجة الملحة للمعرفة السوسيولوجية. وبما أن النّص السوسيو معرفي " إنما هو من حيث فهمه وتدبره وترجماته، عمل بشري دنيوي يخضع لتبدل والتغير، تستوي بذلك جميع النصوص، أكانت دينية أم فلسفية أم أدبية، إذ يستحيل القبض على حقيقتها أو الوقوف على مقاصد أصحابها، المتاح هو إعادة إنتاج المعنى على سبيل الزحزحة والإحالة أو النسخ والتحويل" (**علي، ح. 2005: 192**)، الأمر الذي يفسر اختلاف الاتجاهات والنظريات في ترجمة النصوص الأصلية، وفق الذوق الترجمي وآلية تدخل المترجم المتخصص في ترجمتها؛ الذي يشكل نسقا ترجميا لفعل الترجمة نفسه، هذا النسق الترجمي يعطي القضية الثانية بعدا إبستمولوجيا ديالكتيكياً في الجانب الإيجابي، بكسره "صنم الدوغمائية للنص الأصلي" (=**موت المؤلِف**)، وتأسيس سلطة حاكمة للنّص المترجم لاعتبارات القضية الأولى (حاكمية النص السوسيولوجي الأصلي) في بعدها الديالكتيكي السّلبي.

وهنا نجد مدخلان حسب بول ريكور (**ريكور، ب. 2008: 31**) يشكلان المجازفة بالبحث عن نظريات ترجمية تعطي الاعتراف بمصداقية الممارسة الترجمية والحاكمية للذوق الترجمي. والمدخلان يؤديان إلى المشكل المطروح من طرف فعل الترجمة، إذا أخذنا معنى الترجمة كونها نقل رسالة لسانية من لغة لأخرى أو نأخذه بالمعنى الواسع كمرادف لتأويل كل مجموعة دالة داخل نفس الجماعة اللغوية؛ فإن المداخل التي تُشكّل جدل سلبي لسلطة النص المترجم في القضية الثانية هي:

- المدخل الأول: اختاره أنطوان بيرمان في كتابه (محنة الغريب) والتي تأخذ بعين الاعتبار تعددية وتنوع اللغات.

- أما المدخل الثاني: التي اتبعها جورج ستاينر من خلال كتابه (بعد بابل) تتوجه مباشرة إلى ظاهرة المحتوى والتي لخصها الكاتب بقوله: "الفهم، هو الترجمة؟"

هذه الحدود الفاصلة للعملية الواصلة في فعل الترجمة بين (الذوق الترجمي) و(سلطة النص المترجم) تقعّد لمنهج جديد يمكن الاصطلاح عليه بـ ((**منهج اللذة الترجمية**))؛ التي تعطي السلطة للنّص المترجَم (بفتح الجيم) وفق لذّة المترجِم (بكسر الجيم) على أساس "تفكيك الأصل" و "فعل الإبداع" كما في تصدير ميشيل فوكو لكتابه (اللغة والذاكرة المضادة والممارسة) وتثبيته لفكرة نفي الأصل المقدس للنص، وأن أي ترجمة للأصل إلى لغة ثانية تنطوي على انتهاك الأصل، مما يعطي الشرعية لسلطة ثانية هي سلطة النص المترجم. هذا الديالكتيك الحركي في طبيعة العلاقة الجدلية لتعدد السلطات الحاكمة للنصوص يجعلنا نتساءل في القضية الثانية عن ثنائية الاستحالة والإمكانية لترجمة النصوص السوسيولوجية: فهل الترجمة للنصوص السوسيولوجية -كأنموذج لعلم متميز وصعب وثري في نسيجه المعرفي بين الفلسفة والتاريخ وغيرها من العلوم: تعطي الاستحالة أم الإمكانية لذوق ترجمي يعطي الحاكمية للنص المترجم؟

2.2- جدال إمكانية الترجمة السوسيولوجية واستحالتها (ماكس فيبر الألماني – أنموذجا):

السوسيولوجيا هي علم يتميز بالصعوبة الخاصة التي تحول بينه وبين أن يصير علما مثل العلوم الأخرى كما سبق تقريره، ومرد ذلك حسب بيار بورديو (**بورديو، ب. 2007: 20**) أن رفض المعرفة وتوهم معرفة نظرية يتواجدان فيه جنبا إلى جنب، بدل أن يتعارضان، سواء عند الباحثين أو عند المطبقين، ووحده الموقف الإنتقادي الدقيق يستطيع أن يقضي على اليقينيات، التي تتسرب إلى الخطاب العلمي عبر المسبقات المسكونة في اللغة والقوالب الجاهزة الكامنة في الخطاب اليومي المتداول حول المسائل الاجتماعية. ناهيك عن تداخل العلوم الأخرى كالفلسفة والتاريخ والدّين والاقتصاد وغيرها في مجالات الطرح السوسيولوجي.

لهذا تميّز المنتوج السوسيولوجي الألماني لمؤسّسه في الاتجاه الفهمي (ماكس فيبر) بالضخامة والانتشار الواسع، وتأثيره الوضاح في العلوم الإنسانية –إجمالا- وفي العلوم الاجتماعية- تخصيصا-، وهو مما لا يحتاج لإثبات أو توكيد حسب المدير العام للمنظمة العربية للترجمة الطاهر لبيب كما في تصديره ترجمة كتاب ماكس فيبر (العلم والسياسة بوصفهما حرفة) ؛ حيث اعتبر من الصّعب تصور بلد له من العلوم الانسانية والاجتماعية نصيب لم يتسرب إليه شيء من نصوص ماكس فيبر أو على الأقل من بعض مقولاته، يكفي النظر في مرجعيات البحوث الاجتماعية، وفي لغات مختلفة، للتأكد من أن ماكس فيبر هو ممن لهم حضور واسع التفرع، فكأنه لا استغناء عنه (**فيبر، م. مركز دراسات الوحدة العربية، 2011: 7**).

رغم كل ذلك ظل ماكس فيبر ينتظر من يتيحه-في نصه الأصلي الألماني-لقراء العربية وهو ما دفع ببعض المتخصصين في العلوم الاجتماعية واللغة الألمانية كالدكتور محمد الجوهري إلى التساؤل حول إمكانية الترجمة لأعمال ماكس فيبر وغيره من كبار العلماء الألمان كون " النص الأصلي للمفكر هو بطاقة التعريف الحقيقية به" (**فيبر، م. المركز القومي للترجمة ، 2011: 7**). وعليه فإن المنهج الديالكتيكي الهجلي يفرض علينا قراءة القضية الثانية (حاكمية الذوق الترجمي و إشكالية سلطة النص المترجم) من منظور إيبتسمي نقدي حول ثنائية (الاستحالة/الإمكانية) لترجمة النصوص السوسيولوجية الأصلية من اللغة الألمانية إلى العربية، ونموذج ذلك ماكس فيبر عالم الاجتماع الموسوعي الثقافة والذي يتسم بنظرة شمولية عالية على التنظير وصياغة أفكاره بصورة مجردة ومختصرة في كثير من الأحيان محيرة

توحي بالتضارب، وهذا ما يؤكده محمد الجوهري في تصديره للترجمة الأولى والنوعية بسابقتها كتاب (مفاهيم أساسية في علم الاجتماع)، من هذا المنطلق نجد أن القضية في بعدها الديالكتيكي السّلبي تتأطر في "كتابات ماكس فيبر، التي لا تخفى أهميتها على أي عالم اجتماع أو مثقف في العالم بأسره"(**فيبر، م. المركز القومي للترجمة ، 2011: 15**)، ومن جهة أخرى في مقابل نقيض القضية نجد انعدام "ترجمات عربية لمؤلفات فيبر سابقة لترجمة صلاح هلال، على الرغم من أنه كان دائما حاضرا في الدراسات الاجتماعية العربية" (**فيبر، م. المركز القومي للترجمة ، 2011: 16**)، مما يدعو إلى التساؤل الجدلي: هل هذه المفارقات تشكل تحدياً آخر للمترجم المتخصص ؟ هل عدم وجود ترجمات للنصوص السوسيولوجية الفيبرية هي نتيجة الاستحالة اللغوية أم استحالة الذوق الترجمي ؟

ومع العلم أن نصوص علم الاجتماع لماكس فيبر بلغت أكثر من عشر مجلدات حسب إحصاء اللجنة العلمية المكلفة بترجمة تراث ماكس فيبر والتابعة المنظمة العربية للترجمة. فإن زخم الترجمة للنصوص السوسيولوجية الأصلية باللغة الفرنسية كان دوما حاضرا بمكانة في المشهد الثقافي والأكاديمي في الجامعة الجزائرية، بل وتعدى ذلك إلى حاكمية النص السوسيولوجي المترجم بالوسائط السوسيولوجية الألمانية (فيبر نموذجا وهناك كارل ماركس وغيره)، وهذا يدعو إلى شيء من الحيرة والتساؤل: هلي يمكن الاستغناء عن ترجمة النصوص المباشرة من النصوص الأصلية السوسيولوجية الفيبرية (الألمانية) دون وسائط؟ هذه المكانة العلمية التي نقلتها الترجمة إلى العديد من لغات العالم "تمثل تحديا ومغامرة شاقة ومرهقة بالنسبة للمترجمين، فالمترجم يغوص مع كل كتاب جديد يترجم في بحر لم يألف أمواجه ويعهد أجواءه" (**فيبر، م. المركز القومي للترجمة ، 2011: 15**)، وهو ما جعل بعض أنماط التذوق الترجمي يهتم "بحصيلة متفرقات أو شذرات قد يكون لها فضل المبادرة، لكن لها في كل الحالات، عيب التجزئة وقلة التحقيق والتدقيق، خصوصا وأنها تعتمد في الغالب ، لغة وسيطة غير الألمانية التي وضع النص فيها"(**فيبر، م. مركز دراسات الوحدة العربية، 2011: 7**)، وهذا ما ينفي القضية الثانية ويثبت القضية الأولى في جدلية سلطة النص (الأصلي/ المترجم)، مما يفتح الرهان في طابع السّلب والإيجاب لحاكمية النص عموما في النسيج المعرفي السوسيولوجي كأنموذج للموضوع المركب في ثلاثية (النص–المعرفة–السلطة).

وعليه فالواقع أن المترجم لا يعترف بقصوره، وأن ترجمته هي دراسة وتحليل للنص الأصلي؛ وبهذا قد لا يفيد القارئ في النقل من لغة لأخرى، بل عدم الاعتراف يذهب به إلى التأسيس لسلطة النص المترجم هي **سلطة أخرى لنص جديد ذات طبيعة لغوية ذوقية** ، والمنطق العقلي وفق المنهج الديالكتيكي قد وصح لنا التباين الجدلي بين السلطات مما يحتم علينا تعميق الفكرة الواحدة للسلطة المتعددة من أجل إكتشاف ما تنطوي عليه في صميمها من تناقض، وما تم تنشيطه وإبراز مفاعيله وماهية سلطة النص وحاكميته في القضية الأولى والثانية مهّد لنا للعمل على تجاوز التناقض والارتقاء إلى فكرة وسلطة أخرى جديدة تستقي من جدل القضية الأول والثانية منهج التجاوز **للسلطة الصورية** وفق المنهج الجدلي للتناقض، بإدماج المتناقضات في وحدة كلية كبديل جدالي يمكن الاشتغال عليه كقضية وفكرة جديدة لحاكمية (سلطة المترجم المتخصص والمتكامل معرفيا).

4- البديل الجدالي: (حاكمية سلطة المترجم المتخصص والمتكامل معرفيا):

1.4- الجدل التطبيقي لسلطة الترجمة:

تشتمل أسئلة التناقض بين القضيتين لجدلية سلطة النص (الأصلي/ المترجم) على حصيلة موجزة من المعركة التي تتواجد فيها نسبية الميدان التي يجب أن تصل إلى نتيجة مفادها استحالة الترجمة المتخصصة، وشكلانية الذوق الترجمي؛ التي أخفقت في تأسيس فعل الترجمة على أساس بنية كونية يمكن البرهنة عليها وتأسيس شرعية حاكمة لنصها (**ريكور، ب. 2008: 39**)، وبما أن سلطة النص الأصلي تنهار أمام الجدل التطبيقي لسلطة الترجمة نفسها والأذواق الترجمية ،كما رأينا في الانتقاء الذوقي للنصوص السوسيولوجية الأصلية للمنتوج المعرفي للعالم الألماني ماكس فيبر ؛ فإن "ممارسة الترجمة تبقى دائما عملية مجازفة بحثـا عن نظرياتها" وأن " الترجمة موجودة فعلا فيجب أن تكون ممكنة" (**ريكور، ب. 2008: 37**)، وهذه الصيرورة الديالكتيكية التطبيقية هي نفسها وحدة وجود لعدمية الحاكمية النصية في ثنائية (الأصل/المترجم).

مما يعني أن العلاقات المعقدة بين اللغة والفكر، الروح والمعنى تفتح السؤال الأبدي الممل: هل يجب ترجمة المعنى أو ترجمة الكلمات إنها حيرة الترجمة؟ هذه الحيرة للترجمة من لغة إلى أخرى تجد أصلا لها من خلال تفكير اللغة حول ذاتها، وهو ما دفع ستاينر للقول: "الترجمة هي الفهم" (**ريكور، ب. 2008: 51**)، ومن خلال هذه الصيرورات في الجدل التطبيقي تولد التنافر المركب للنص السوسيولوجي عبر ترجمة الشذرة أو التذوق الترجمي لنصوص ماكس فيبر، مما لا يخول إعطاء سلطة حاكمة للنص المترجَم وفق المنطق العقلي للعلاقة بين الأنا والآخر القائمة على التعارض والمنافسة، وهو ما يفيد أنه على المترجم أن يحترم ((المسافة الثقافية)) ولا يحوّل الترجمة إلى تعليق أو نقد أو انتقاء ذوقي مقتطع (**ريكور، ب. 2008: 12**). وهنا يحق لنا الاستشكال عن إمكانية الترجمة للنصوص السوسيولوجية في لغتها الأم دون وسائط لغوية، ببناء لغة علمية جديدة تنطلق من الكونية في تأسيس حاكمية المترجم المتخصص والمتكامل معرفيا؟ وهل هذه الإمكانية تقبل الاختلاف في تأسيس **حاكمية لنص مترجم ذو طبيعة عقلانية راشدة** ؟ سلطة نص تتجاوز المترجم المتذوق والآلي؟ كما تتجاوز الذاتي والأجنبي؟

2.3- حاكمية المترجم المتخصص والمتكامل معرفيا:

حاولنا فيما تم رصده من مفاعيل وماهية سلطة النص واستراتيجية الترجمة والذوق الترجمي أن نثبت القضية ونقيض القضية للمركب الثلاثي في موضوع الحاكمية النصية (النص–السلطة–المعرفة) أن "السلطة سلطات متعددة الأسماء" (**الزايد، م. 1983: 7**) وليست سلطة واحدة، لهذا يتطلب الأمر تأسيس لغة ترجمية أخرى وولادة ((**ذات مغايرة**))، لتكشف النص الأصلي ذاته بقلب آخر ورأس آخر (**عيادي، ع. 1994: 44**)، ومن هنا يغدو النص المترجم " ليس بحثا عن معنى أول، وإنما إعطاء أولويات وأسبقيات، تلك الأولويات التي ترجع لإدارات القوى والسلطات التي توجد من وراء التأويل، ليست علاقة التأويل بالنصوص والمعاني علاقة تأمل ونظر، إنها ومنذ البدء علاقة صراع واستحواذ وعنف، وإذا كانت المعرفة بتراتباتها تخفي القوة سبق الاستحواذ عليها بعنف التأويل" (**بنعبد العالي، 41**) فلأي شيء لا يكون النص دوما بدعة وخروج عن المألوف وخلق المفارقات (Para-doxes)، لذلك فما تميز به من تلك المفارقات عبر ديالكتيك حاكميته وسلطته يجعلنا في انفلات من كل تأويل نهائي بغية الخروج بوحدة وجود بديلة لبداية حركة وقضية جديدة عبر سلطة (المترجم المتخصص والمتكامل معرفيا).

وعليه يمكننا رصد بعض النماذج للترجمات السوسيولوجية وقراءتها ابتسمولوجيا كبديل جدالي وتجاوز منهجي ديالكتيكي للتناقض الوارد في ماهية ومفاعيل سلطة النص الأصلي وسلطة النص لذوق المترجم، وفق قضية تأليف موحد لفكرة ((**حاكمية المترجم المتخصص والمتكامل معرفيا**)).

ولنأخذ على سبيل النمذجة:

- **نموذج فردي (د.صلاح هلال):**

دكتوراه في الفلسفة، درس علوم اللغة الألمانية والأدب، علم النفس وأصول التربية المقارنة بجامعة عين شمس بالقاهرة، درس الأدب الألماني القديم والحديث والنقد الأدبي والترجمة والعلوم الإسلامية من جامعة دون بألمانيا. عمل مدرسا لأدب الألماني ومترجما فوريا وحرا، حصل على الإجازة الدولية لتدريس الألمانية من معهد جوته وجامعة ميونخ.

وهذا الزخم في سيرته الذاتية والتنوع للحقول العلمية والمعرفية يمكنّه من تأسيس ترجمة متخصصة جديدة تعطي السلطة لنصها، وفق "الاتساق" بين النظرة اللغوية المتخصصة وبين النظرة العلمية للنص المترجم له، بتحقيق تكامل على المستوى الإجرائي بتكامل مناهج الترجمة المتخصصة، وعلى المستوى المعرفي للمترجم نفسه في التخصص العلمي للنص المترجم ، ويظهر أثر ذلك –جليا– في ترجمة صلاح هلال لكتاب (مفاهيم أساسية في علم الاجتماع) لماكس فيبر تحت تصدير ومراجعة الدكتور محمد الجوهري، وهو الآخر صاحب تخصص سوسيولوجي ولغوي بتمكنه في اللغة الألمانية ودراسته التخصصية في السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا في جامعاتها، الأمر الذي جعله يشهد–وفق تجربته في التكامل المعرفي التخصصي– لصلاح هلال وترجمته بالسابقة قائلا: "لا يوجد ترجمات عربية لمؤلفات فيبر سابقة لترجمة صلاح هلال، على الرغم من أنه كان دائما حاضرا في الدراسات الاجتماعية العربية" (**فيبر، م. المركز القومي للترجمة ، 2011: 16**) وهذا ما يخول لهذه الترجمة النوعية الأولى بمبادرة المركز الثقافي الألماني لتبنيها والتنسيق مع وزارة الخارجية الألمانية لتمويلها عبر معهد جوته الألماني. وهو ما يعطي للنص المترجم قوة وسلطة حاكمة على غيرها من السلطات في القضية الثانية لحاكمية الذوق الترجمي فضلا عن القضية الثانية المناقضة للأولى بدوغمائية النص الأصلي، وبهذا نتجاوز منهجيا التناقض بمركبه الثنائي إلى وحدة واحدة مقننة على أنقاض قضية الإيجاب ونقيضها السلب، لتتشكل لنا **سلطة جديدة للنص المترجم ذات طبيعة متكاملة معرفيا**. أي: حاكمية مؤسسة على ((**الترشيد العقلاني**)) للتخصصات بتحقيق التجاوز المنهجي الجدلي عبر الإزدواجية بين تخصص الترجمة اللغوية وبين التخصص العلمي فيما يترجم له كعلم الاجتماع (= السوسيولوجيا الألمانية) مثلا.

- **نموذج مؤسساتي (المنظمة العربية للترجمة):**

وهو الآخر نموذج يحتاج لدراسات إيبستمية حول آلية العمل واستراتيجية الممارسة الترجمية، والتعمق في فهمها للخروج بنمذجة يمكن أن تنتقل إلى المخابر البحثية و المراكز البحثية في الجزائر، وتبني طريقة عمل عبر لجان علمية تتجاوز التناقض الوارد في ماهية ومفاعيل سلطة النص الأصلي، وسلطة النص للذوق الترجمي؛ وفق قضية موحدة لفكرة (حاكمية المترجم المتخصص والمتكامل معرفيا).

وبهذا الصدد يقول الطاهر لبيب المدير العام للمنظمة العربية للترجمة: "شكلت المنظمة العربية للترجمة لجنة علمية ممن لهم تمكن من اللغة الألمانية ولهم في العلوم الإنسانية والاجتماعية تخصص ومكانة"(**فيبر، م. مركز دراسات الوحدة العربية، 2011: 8**)، ونلاحظ هنا تركيز اللجنة العلمية على التكامل المعرفي والتخصص اللغوي، بل و**المكانة** في

التخصص المعرفي في العلوم الإنسانية والاجتماعية. وهو الآخر نموذج يمكننا من رصد بعض النماذج للترجمات السوسيولوجية وقراءتها ابتسمولوجيا كبديل جدالي وتجاوز منهجي ديالكتيكي للتناقض الوارد في ماهية ومفاعيل سلطة النص الأصلي وسلطة النص لذوق المترجم، وفق قضية تأليف موحد لفكرة ((**حاكمية المترجم المتخصص والمتكامل معرفيا**)). هذا ما قد يفتح مشاريع مستقبلية لنمذجة الترجمات للنصوص السوسيولوجية وفق تخصص المترجم وتكامله المعرفي.

وأخيرا: فالرهان في وجهة نظر صاحب الورقة البحثية هو "قراءة النص بعقل مركب ومفتوح على تعدد المعنى، قراءة خصبة وفعالة، من أجل تجديد وتوسيع عالم المعرفة" (**علي، ح. 2005: 193**)، ومع ذلك ينبغي أن نتذكر دائما مقولة فولتير الشهيرة: "**عندما تقرأون ترجمة، إنكم لا تقرأون إلا نسخة باهتة من عمل رائع**" (**فولتير. 2015: 69**). هذا ما يجعل طرح التساؤلات الفلسفية الجدلية محور مركزي ومهم حول ما نحن عليه في واقع الترجمات والنصوص السوسيولوجية الأصلية وحاكميتها، بمساءلة النحن عبر الذات ؟ واستشعار الخطر الذي يكمن في كل مألوف وأن نجعل كل ما هو راسخ موضع إشكال.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إدوين غينتسلر، في نظرية الترجمة اتجاهات معاصرة، ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2007.
2. أنتوني غيدنز: علم الاجتماع، ترجمة فايز الصباغ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
3. بول ريكور: عن الترجمة ، ترجمة: حسين حمري، ط1، 2008، منشورات الاختلاف، الجزائر.
4. بيار بورديو: الرمز والسلطة، ترجمة: السعد بنعبد العالي، طبعة توبقال للشنر، الدار البيضاء المغرب، ط3، 2007.
5. جميل صليب: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، 1978.
6. جورج بالانديه: الأنثروبلوجيا السياسية، ترجمة جورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1986.
7. دنكان بريتشارد، ما المعرفة؟ ترجمة: مصطفى ناصر، طبعة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2013.
8. رولان بارت: لذة النص، ترجمة منذر العياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب سورية، ط1، 1992.
9. السعيد بن عبد العالي: ميثولوجيا الواقع، دار توبقال الدار البيضاء المغرب.
10. سمير أبو زيد: العلم والنظرة العربية إلى العالم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 2009.
11. شحادة الخوري: دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، ط1، 1989، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، تونس.
12. عامر مصباح: علم الاجتماع الرواد والنظريات،شركة دار الأمة الجزائر، ط1، 2010.
13. عبد العزيز عيادي: ميشال فوكو المعرفة والسلطة، المؤسسة الجامعية للراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1994 .

14. عبد الفتاح كيليوط: لسان آدم، ط2، دار توبقال، الدار البيضاء المغرب، 2001.
15. علي حرب: هكذا أقرأ ما بعد التفكيك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005.
16. فولتير: رسائل فلسفية، ترجمة: حسام أبو سعده، مكتبة النافذة، ط1، 2015 .
17. ماكس فيبر: العلم والسياسة بوصفهما حرفة، ترجمة: جورج كتورة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2011.
18. ماكس فيبر: مفاهيم اساسية في علم الاجتماع، ترجمة: صلاح هلال، ط1، 2011، طبعة المركز القومي للترجمة، القاهرة.
19. محمد الزايد: الفلسفة وماهية السلطة، مجلة العربي، عدد34/33، ماي /أوت، 1983.
20. محمد كيتسو: دراسات في نظرية الترجمة في ضوء الخبرات باللغة العربية، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013.
21. مونيس بخضرة: تاريخ الوعي، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط1، 2009.
22. ميشال فوكو: نظام الخطاب، تعريب: أحمد السطاني وبنعبد العالي، الدار البيضاء المغرب، 1985.
23. هيجل: موسوعة العلوم الفلسفية ج1، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي ، القاهرة.
24. Dictionnaire philosophique ,Ed.die progres, Mouscou,1985.